## 12- البنية السردية في القصة القصيرة

تعدّ القصة القصيرة من أبرز الأجناس الأدبية الحديثة التي استهوت القرّاء بما تتميز من خصائص فنّية مقارنة بباقي الأجناس، وهي الخصائص التي جعلت منها فنّا يسمح باستيعاب كلّ القضايا التي تمسّ الإنسان ومجتمعه، فبالرغم من قصر حجمها وكثافة لغتها إلا أنّها استطاعت أن توصّف الواقع بمختلف متناقضاته. ولهذا يجدها القارئ فضاء رحبا، يساير انفعالاته، ويعبّر عن أهوائه، فالقصة القصيرة بالرغم من حجمها إلا أنّها استطاعت أن تواكب التطورات وتعكسها بشكل جمالي لافت.

تعود الإرهاصات الأولى لفنّ القصة القصيرة [بشكلها الخاص] إلى"بوكاشيو" في القرن الرابع عشر وفي كتابتها كلون أدبي جديد بمميزاته المعروفة إلى "أدجار آلانبو" و"جوجول"، حتى جاء "تشيخوف" و"دي موباسان" اللّذان طوّرا القصة القصيرة ورسما ملامحها[1].

ومن أبرز الكتّاب العرب الذين خاضوا غمار الكتابة القصصية القصيرة نجد "محمد تيمور ومحمود تيمور وطاهر لاشين ويحي حقّي وحسين هيكل ثم تطورت مع يوسف إدريس، والطيب الصالح"[2] وغيرهم من الكتاب العرب الذي سجّلوا نتاجاتهم المتميّزة في هذا المجال الإبداعي.

ورغم محدودية أحداث القصة القصيرة إلا أنّها تثير المواقف وتعود إليها مما يتيح لها التفرّد بخصيصة تميّزها، فهي "تعود إلى الموقف الذي انطلقت منه لتسير خطوات إلى الأمام"[3]، وهذا ما يعرف بأسلوب الارتداد حين يمزج النص بين الحاضر والماضي. ومن ضمن ما يميّز القصة القصيرة أيضا أنّها تكتفي بفترة أو فترات زمنية مؤثرة في الحدث[4] فهي لا تهتم بالأحداث الجزئية، وهذا لا يعني أبدا قصور القصة القصيرة عن إيصال الرسالة الكاملة للقارئ بل على العكس تماما فهي بهذه الميزة تفتح له المجال الواسع لتحليل الحدث الكلّي وتفكيكه إلى أحداث جزئية تزيد من فهم مضمون الحكاية

---

[1]- ينظر: أحمد طالب، الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة (1931-1976)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. دط، دت ص:199.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص200.

[3]- المرجع نفسه. ص217.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، 216.

وتأويلها، فالسارد في القصة القصيرة "ينظّم الأحداث ويمنحها قيمة شمولية أو تمثيلية"[1]، وتلك القيمة لا يحدّدها سوى القارئ الكفء بخزينه المعرفي والثقافي، فيقرأ النص متجاوزا فكرة الاستمتاع إلى الاستنطاق فيستشفّ الدّلالات الظاهرة والخفية للنسيج السّردي، "فذوق القارئ الناقد أشدّ تعقيدا من كلّ ذلك لأنه يتطلّب من القصة أن تكون زاخرة بالحياة، وذلك بأنّ له صورة مموهة منها تتّسم بميسم الخلود والاستمرار"[2]. ولكي يكون النص القصصي القصير زاخرا بالدلالات عليه أن يستجيب إلى العصر بكلّ تمفصلاته، وأن يمتح من واقعه بما يساهم في تكوين الشخصيات والأزمنة والأمكنة، وأن يلتمس لغة مميزة مثقلة بالأحداث المتجسدة كلها فيما يمكن تسميته بالحدث المتكامل، "فتصوّر (اللغة) حدثا متكاملا له وحدة، ووحدة الحدث لا تتحقّق إلا بتصوير الشّخصية وهي تعمل"[3].

إنّ الشخصيات في القصة القصيرة قليلة وتتماشى مع المنطلق والهدف العامين، لأنّه "كلّما قلّت الشخصيات إلى أقلّ حدّ ممكن ساعدها ذلك على قوة البناء وتماسكه وعدم توزّعه على قوى كثيرة تحاول كل منها أن تجذب الثقل في اتجاهها"[4]، وطبعا لا يتمّ هذا التماسك إلا بمكوّن اللّغة الذي يحقّق الحبك المركّز، وهذا راجع لطبيعتها المكثفة، وللإشارة فإنّ هذه السمة لا تصطحب معها عجز النص القصصي عن استضافة التراث أو المادة التاريخية أو الأسطورية ... ، فنص القصة القصيرة قادر على تمثّل تلك المواد التراثية وإعادة تركيبها بتخييل يزيدها ثراءً وفنّية.

- **الخصائص الفنية للقصة القصيرة:**

تتميز القصة القصيرة كباقي الأجناس الأدبية بجملة من السمات الفنية التي تميّزها، من بينها[5]:

أ/ **الوحدة:** وتكون على مستوى بناء القصة القصيرة، وتتجسّد في وحدة البطل ووحدة الحدث وقلة الأمكنة.

---

(1)- ميشيل رايمون، بصدد التمييز بين القصة والرواية – طرائق تحليل العمل الأدبي، تر: حسن بحراوي، منشورات اتحاد كتّاب المغرب، الرباط ط1 ، 1992. ص: 178.

(2)- محمد الهادي العامري، القصة التونسية القصيرة، دار بوسلامة، تونس، ط1، 1980. ص: 85.

(3)- رشاد رشدي، فنّ القصّة القصيرة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط2، 1964. ص: 55.

(4)- فؤاد قنديل، فنّ كتابة القصة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة – مصر، ط2، 2008. ص: 137.

(5)- ينظر: المرجع نفسه. ص: 36 وما بعدها

**ب/ التكثيف**: وهو ما يميز القصة القصيرة ويكون بمثابة المعيار الذي نحتكم إليه لتحقيق مدى نجاحها من عدمه.

**ج/ الدراما**: لا يشترط وجود صراع خارجي صارخ بل يكتفي النص بحيوية الأحداث وحرارتها فتؤثر في القارئ تأثيرا بالغا.

- **القصة القصيرة في الجزائر:**

ارتبطت نشأة القصة القصيرة في الجزائر بالثّورة التحريرية، فقد كانت الثورة عاملا تاريخيا موجّها لها ولتطورها من الناحيتين الشّكلية والمضمونية، فثورة الشّعب على المستعمر الفرنسي تبعتها ثورات في شتى المجالات الحياتية وبخاصة الفكرية والأدبية، حيث لم يجد المبدع متنفسه كاملا في القصيدة العمودية فانتقى الشّعر الحرّ أيضا للمطالبة بالحرية والتّحرر من قيد المستعمر، وإلى جانب الرواية اختار القصة القصيرة حتى تستوعب بكثافتها وقصر حجمها ما يجري من أحداث كانت البلاد تعجّ بها طيلة فترة الاحتلال "وقد اتخذ التعبير عن الثورة في القصة القصيرة أشكالا شتّى وصورا متعدّدة، متراوحة فيما بين التناول المثالي المفرط إلى حدّ القداسة، والمبالغة غير المبرّرة أحيانا، وبين التسطيح والتوثيق أو التسجيل الوصفي التّقريري المباشر"[1]، فباعث الثورة استدعى هذا التحول الكتابي والحاجة إلى القصة القصيرة التي من شأنها أن تتناول جزئية أغفلتها باقي الأجناس الأدبية – الرواية بخاصة- فتعطي البطل الواحد حقه وتضفي على الحدث الدرامية التي يستحقها من خلال المشاهد التاريخية المنتقاة حيث "ينحرف الراوي بالقصّ ليتوجه مباشرة إلى القارئ مستجليا أمامه صور الواقع البائس، وكأنه يشاهده على شاشة سينمائية"[2]

لقد سجّلت الساحة الأدبية في الجزائر ظهور كتابات قصصية قصيرة كثيرة لكتاب كبار، بدءا من أربعينيات القرن الماضي وصولا إلى يومنا هذا، أذكر منهم: أحمد رضا حوحو بمجموعة "غادة أم القرى"، وعبد الحميد بن هدوقة بمدونة "الأشعة السّبعة"، الطاهر وطار بنص "الشهداء يعودون هذا الأسبوع"، و"أبو العيد دودو" بمجموعة "بحيرة الزيتون"، والطيب معاش وأحمد عاشور ومرزاق بقطاش

---

[1]- ينظر: إبراهيم صحراوي، ديوان القصة، منتخبات من القصّة القصيرة الجزائرية الحديثة والمعاصرة، دار التنوير، الجزائر، 2012. ص: 14.

[2]- محمد عبد الله القواسمة، جماليات القصة القصيرة، قراءات نقدية، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2005. ص: 81.

وواسيني الأعرج. مع تسجيل حضور الكاتبة الجزائرية التي أبدعت في هذا المجال، كزهور ونيسي وجميلة زنير وفضيلة ملهاق وغيرهن.

لقد كان للسياقات الخارجية دورها في تقاطع الكثير من النصوص القصصية الجزائرية، وفي وسمها بالخصائص الفنية ذاتها، "وهذا لا يعني أنّ القصة القصيرة قد توفرت فيها كل الخصائص أو السمات الفنية وإنما يعني أنها خطت خطوة جديدة في تطوّرها واقتربت كثيرا من النّضج"[1]، فحين تمازجت الخبرات وأفادت من بعضها البعض زاد مستوى النضج، وأثبتت قدرتها على إعادة تمثل الواقع وأكدت في الوقت نفسه "قدرتها على اجتذاب القراء وجعلهم أولا متورطين معها في صياغة الأحداث وتقليب وجهات الرأي، وثانيا مندمجين بها في مغامرة تخصيب التأويلات المحتملة وارتياد مجالات العوالم الممكنة"[2].

[1]– عبد الله ركيبي، القصة القصيرة الجزائرية. ص: 140.

[2]– حميد لحمداني، القصة القصيرة في العالم العربي؛ ظواهر بنائية ودلالية، مطبعة آنفو برانت، فاس– المغرب، ط1، 2015. ص: 11.